

10-15-2018

Color Sociology as an Iconic Pattern in the Qur'anic Discourse

Abdulmir Matar Fili

University of Karbala / College of Education for Human Sciences

Follow this and additional works at: <https://alustath.uobaghdad.edu.iq/journal>

Recommended Citation

Fili, Abdulmir Matar (2018) "Color Sociology as an Iconic Pattern in the Qur'anic Discourse," *Alustath Journal for Human and Social Sciences*: Vol. 227: Iss. 1, Article 2.

DOI: 10.36473/ujhss.v227i1.685

Available at: <https://alustath.uobaghdad.edu.iq/journal/vol227/iss1/2>

This Article is brought to you for free and open access by Alustath Journal for Human and Social Sciences. It has been accepted for inclusion in Alustath Journal for Human and Social Sciences by an authorized editor of Alustath Journal for Human and Social Sciences.

سوسيولوجيا الألوان نسق أيقوني في الخطاب القرآني أ.م.د. عبدالامير مطر فيلي جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية

تاريخ التقديم: ٢٠١٧/١٠/٢١ في ٣٤٢

تاريخ القبول: ٢٠١٧/١٢/١٧ في ٦٤٠

المخلص:

اتخذت الدراسات النقدية الحديثة أطراً جديدة ، حاولت جاهدة أن تنتزع من النص لباس وقوالب الأطر القديمة التي كانت بها تتم إنتاجية النص، بصرف النظر عن الطريقة أو الأدوات التي يتعامل بها المتلقي مع النص. فكانت الدراسات اللسانية بمختلف توجهاتها؛ وتوسع قراءاتها وتعدد مشاربها ، جعلت من شبكة من العلاقات وأنسجة رابطة له، مستفيدة من انساق بنائه، على وفق قراءات شمولية ومستوعبة لكل بنية فيه، من خلال الحفر في اركولوجية النص ؛ بوصفه طبقات متعددة تحمل بنى ثقافية مضمرة تتحكم بالنص، لاسيما الاجتماعية والثقافية والظروف البيئية المطمورة في النص ، بوصفها بنى ثقافية غير ظاهرة ، ومن هذه البنى سوسيولوجية اللون في الخطاب القرآني لأنه حمل دلالة نسقية مشحونة بحمولة مؤثرة في المجتمع العربي ، اکتزت فيها ثقافته وسلوكياته وعاكسة لطبيعة تعامله ، فجاءت هذه الدراسة لتحفر في نصيات المدونة القرآنية في توظيفها للألوان أيقونة اجتماعية لفظية مختزلة ألفاظا كثيرة بصور معبرة قوامها الصورة اللونية في تفسير الظواهر الاجتماعية بأيقونتها لونية .

الكلمات المفتاحية: السوسيولوجيا، الألوان، النسق، الأيقونة، الخطاب القرآني.

Color Sociology as an Iconic Pattern in the Qur'anic Discourse

Assist. Prof. Dr. Abdulamir Matar Fili

University of Karbala / College of Education for Human Sciences

Abstract:

The study was taken from the color sociology as a pattern of the Quran desecration as a symbol of social aspects expressed by the Color icon. The color represented a wide presence in the Quran code by employing White color with a social multiple sign of religious, social, miraculous , description trends and case of stubborn human. The use of green color in many ways in the description of the plant is a symbol of fertility , life, miraculous ability and description of clothes and furniture of the people of paradise. While the yellow color is an icon color represents the non-obedience and , stinginess and description the fire of hell, miraculous ability, Torment and death. While the black color signifies the social group , doctrine , miracle and description of the case of unbelievers. While the recruitment of red color indicates the statement of ability of miracle aesthetics. The implications of the Blue color are to the description and loss of the eyes of the unbelievers.

Key words: Color, description, employing, icon, and symbol.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين الذي ليس لقضائه دافع ولا كصنعه صنع صانع، وهو الجواد الواسع فطر أجناس البدائع ، وأتقن بحكمته الصنائع لا تخفى عليه الطلائع، ولا تضيع عنده الودائع ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطاهرين وصحبه الميامين .

تعد المدونة القرآنية نصا زاخرا ومعينا ثرا للبحث والدراسة من نواح مختلفة ، إذ تمتلك نصوصه سيرورة معنوية وإشعاعا دلاليا لا ينتهي ؛ إذ لا يضاهيه من قبل أي نص آخر ، فهو معجزة الرسول الخالدة ، والنص الأول للعربية والأمثل لها ، فقد جاء معجزا في مبانيه ومعانيه في آن واحد معا ؛ فجاء البحث بعنوان (سسيولوجيا الألوان نسق أيقوني في الخطاب القرآني)، ولم يتوقف البحث على دراسة اللون في القرآن الكريم بحسب تفسيره بالقراءة التقليدية أو الوقوف عند الدلالات الأولية له. أو الأثر النفسي تجاه اللون لدى المتلقي ، بل كانت الدراسة محاولة في التنقيب في حفريات النص من خلال استكناه طبقاته والوقوف عند الأسباب الكامنة التي دعت إلى توظيف استعمال اللون في الخطاب في مواقف معينة واحداث راسخة لدى العرب واستكناه المسكوت عنه أو ما لم يصرح به ، للدلالة العميقة فيه ؛ وقد تنوعت تنوعا ملحوظا ؛ تساوقا مع المعاني التي سيقت لبيانها ، من خلال الدرس النقدي الثقافي المعاصر للخطاب القرآني وإعادة قراءته بجعل فعل الخطاب مفتوحا على آفاق النص القادر على مواكبة الخطاب القرآني ؛ لأنه يحمل أسرارا كثيرة تستفز المتلقي لفك رموزه انطلاقا من فهم العلاقة الجدلية بين الدال والمدلول أو بين الحضور والغياب ؛ وهو أمر دفع اتجاه الدرس نحو مناطق اشتغال تستحق أن يكون لها نصيب ، وبعد أن يلقي بضلاله على تمفصلات النص وأبعاده الرمزية التي أنتج بها كأيقونات ، أو علامات لونية خارج نصية أو نصية قارة أو على أساس هذه المفاهيم ، انبثقت فكرة البحث القائمة على السؤال الآتي : لماذا استعملت الألوان في مواقف أو أنها وصفت سلوكيات أو إرث له أبعاد معرفية في الخطاب القرآني ؟ اختزلت نصوصا وألفاظا كثيرة عبرت عنها الأيقونة اللونية ببلاغة وإبصال للفكرة وتوصيف لطبيعة المجتمع في تلك الفترة الزمنية ، فتفتتح الأيقونة اللونية في النص عن نصوص مسكوت عنها ؛ وما أفرزته هذه الأيقونات من دلالات عميقة ، تظهر المعطى الجمالي لقيمة المدونة القرآنية. ومن هنا انبثقت فكرة الدراسة في الخطاب القرآني بوصفه نصا ضم الكثير من الأيقونات التي لايسعها بحث بهذا الحجم وإنما فرض اللون حضوره بشكل لافت للنظر، فكانت القراءة تنطلق من تساؤل فرض نفسه لماذا استخدم اللون بمواضع متعددة ومختلفة وأعطى دلالات تتناسب مع طبيعة النص وبيئة المجتمع الذي أطلقت فيه ؟.

لذا تحددت الدراسة في مجموعة من الألفاظ اللونية الواردة في القرآن الكريم بلفظها الحقيقي، وأهملت الألوان التي حملت لفظا أو معنى مجازيا ، واتخذت الدراسة توظيف اللون في الخطاب

القرآني من حيث عدد استعملاته تنازليا في المدونة القرآنية والتي بلغت عدد النصوص التي وردت فيها صفة اللون ثلاثين آية في ثلاث وعشرين سورة توزع نزولها بين المكية والمدنية ؛ وجاءت القراءة على مقدمة ومبحثين الأول تضمن وظيفة الأيقونة ، والثاني توظيف اللون كنسق قرآني ثقافي ، وخاتمة ، وثبت الهوامش والمصادر والمراجع .

المبحث الأول/ وظيفة الأيقونة:

الأيقونة نافذة نكتنز دلالات متعددة يمكن الوصول إليها عن طريق المشابهة بوجود القرائن اللفظية أو الصورية ؛ التي تدل عليها ، أو بعدم وجود المشابهة ، ويكون اكتشافها أو الوصول إليها بواسطة العلاقات التأويلية التي يستنتجها المتلقي ، من خلال قرائن قد تكون غير ظاهرة ؛ يستبطنها النص ويتم إنتاجها عبر التأويل والإدراك العقلي لهذه الدلالات ؛ وقد تأتي الأيقونة بصور مختلفة قد تكون لفظية أو تجسيمية أو إشارية ، أو حاضنة للرسوم الصورية أو التخطيطية وكل ذلك لا يمكن الوصول إليه إلا من خلال العمليات الإدراكية العقلية القائمة على التأويل ، وذلك يحتاج إلى متلق واع يقرأ النص قراءة إنتاجية خاضعة للمورثات الثقافية بشتى مجالاتها وتنوع أصولها سواء أكانت الأسطورية أم الشعبية أم الدينية أم السلوكية ، مستفيدا من تجليات العلوم الإنسانية في تفسير وتأويل الأيقونة ، كعلم النفس والاجتماع والفلسفة ، والفنون والآداب ، وكذلك العلوم الصرفة ، كالرياضيات والمناهج النقدية ، لا سيما مناهج ما بعد الحداثة ؛ فتصبح الأيقونة ذات دلالة يمكن تفسيرها وتأويلها بحسب المورثات والعلوم المختلفة ، وما أنتجته الثورة الصناعية ، وما توصلت إليه الدراسات اللسانية الحديثة بمختلف اتجاهاتها ومدارسها .

فالأيقونة صورة لغوية ذهنية معبرة ، قوامها التأويل القائم على التواصل ما بين اللفظة أو الصورة وما تضمه من دلالات مكتنزة فيها ، فتمثل الأيقونة الدال (اللفظة / الصورة) والمعنى المتفجر من ثنايا الدال في مخيلة المتلقي من تصور ذهني أو صوري يسمى المدلول ؛ أي الموضوع الذي ينقدح في ذهن المتلقي الواعي على شكل ومضة بوساطة نسيج العلاقات المتشكلة عبر الثقافات المختلفة في النص المضمير المتولد من نص الأيقونة .

وعدّ بيرس الأيقونة بأنها تأتي (لفحص مستويات سيميائية غير لغوية أو خارج لغوية) ١ ، فالعلاقة عنده تمثيل كالرسوم والصورة القائمة على علاقة المماثلة والمشابهة ، وتكون ذات دلالة واسعة تحيل إلى العلاقة الصورية عبر وسيط المماثلة والتشابه الذي يؤدي إلى توصيل معرفي . فالأيقونة ذات نسق من العلامات المعبرة عن أفكار وسلوكيات اجتماعية أو ثقافية ، فهي بمثابة الإشارات المعبرة عن الأفكار التي تتفتح عنها أو ما تشير إليها . وتعد نسقا من الإنسان الكاشفة عن طبيعة الشيء سواء أكان فردا أم مجتمعا أو غير ذلك . فهي آلية من آليات التواصل المعرفي التي تمثل علاقة لسانية أو غير لسانية . فهي نص مكتنز داخل علامة تدعى الأيقونة يوجد بينهما ترابط

على مستوى الذاكرة وتربطه عُرى من القواسم المشتركة يتم من خلالها تكوين فضاء نصي تحكمه علاقات متنوعة ومتعددة راکزة في الذاكرة الثقافية المجتمعية وكاشفة عن طبيعة سلوكياته ، ويتم ذلك بوساطة ما تحويه الأيقونة من طبيعة توليدية للصور والمعاني تستحضرها ذاكرة المتلقي الفرعية التي كانت تحكم طبيعة العلاقة أو التفكير لدى الأفراد أو المجتمعات ؛ من خلال قواعد أو أعراف أو تراكيب سائدة وراسخة لديهم ؛ فتصبح أنساقا تؤول بحسب نسق آخر ، أي بمعنى آخر ، أن نسقا ما يصبح أداة لتأويل الأنساق الأخرى ، فالأيقونة تصبح (أداتنا في فهم الدلالات والإيماءات وشروح معاني الصورة واللوحة والرقص ...)٢ . وهي التي بينها وبين ما تدل عليه محاكاة ، أي هي تحاكي ما تشير إليه . وقد تكون هذه المحاكاة عالية في الصور المرئية (التلفزيونية) . أو منخفضة كما في اللوحات السريالية ، والأحلام ، وبعض مفردات اللغة التي تحاكي معانيها كأسماء الأصوات .

ومن وظائف الأيقونة أنها ذات وظيفة اختلافية ؛ فهي لا تملك معنى وإنما تملك استعمالا ، والاستعمال هو صيغة أخرى للقول ؛ لأن المعنى موجود في الاستعمال ، وبدوره يحيل على نسق ؛ والنسق كيان غير مرئي ولكنه البؤرة التي يتم عبرها التبدل والتواصل . فالأيقونة من أهم وظائفها أنها تربط بين صورة سمعية أو بصرية بتصور ذهني عن طريق الإدراك ، وبذلك تكون هي الدال للأداة الحاملة والمدلول للمضمون التي تستند إلى قاعدة عرفية تحولها من وضعها الأصلي الهامشي إلى نصوص تنتج ضمن أنساق ثقافية بعينها ؛ وتمارس تأثيرها على السلوك الإنساني وتوجهه . وعادة ما تنسى هذه العلامات مع كثرة استعمالها وضعها الأصلي أو الهامشي لكي تصبح علامة / أيقونة طبيعية منتجة لمعانيها بشكل طبيعي ، فالأيقونة (تبدو في المعتاد طبيعية لدى أولئك الذين يستخدمونها أفرادا أو مجتمعات ميالون إلى تأكيد أن سلوكهم الخاص ؛ إنما تحكمه اعتبارات عملية أكثر منها رمزية ، كما أنهم يؤكدون أنه يختارون السلوكيات والأعراف والملابس والصور التي يرون أنها معبرة بصورة طبيعية) ٣ . وبقدر ما تكون هذه السلوكيات قوية يكون نجاحها في التعامل بعلاماتها بوصفه علامة طبيعية بسبب العرف أو الثقافة التي تتحول إلى عنصر طبيعي بعدما تغادر أصلها .

إن الأيقونة تنماز بوظيفة الإيحاء والتأثير ، وتجلب هذه الوظيفة في الخطاب القرآني لما يملكه من خصوصية تميز بها عن غيره من النصوص النثرية الأخرى ، بمختلف أجناسها الأدبية بتوظيفه للأيقونة لأنها تمتلك سمات اكتناز الإيحاء والتأثير في المتلقي وبدلالات مختلفة ومغايرة للأجناس الأدبية بصورة أوسع وأعمق وأكثر غرابة ومخالفة للمألوف الشائع في تفكير البشرية .

وتعمل الأيقونة على تحديد هوية النسق اللوني وتبين دلالاته المتنوعة والمختلفة وبوساطتها ؛ يمكن للمتلقي أن يختزل من التباسات النسق الذي يشتغل عليه . وبما أن الأيقونة لها وظيفة الإيحاء والتأثير ، فإن الخطاب القرآني له خصوصية تميزه عن باقي الأجناس الأدبية في توظيف واستثمار

الأيقونة لما فيه من قدرة على قبول الإيحاء والمرونة وقدرته على التأثير في المتلقي بصورة أوسع وأعمق و أكثر غرابة ومفارقة.

وتعد الأيقونة آلية من آليات التواصل المهمة بين المتلقي والنص الإبداعي القائمة على تقنية التواصل السمعي والبصري والثقافة الراكزة بينهما وما يحمله المتلقي من إرث معرفي، فإذا ما استطاع أفق القارئ أن يتغلب ويتفوق بقراءة وتأويل صمت الأيقونة البصرية التي جذبت اهتمام المتلقي؛ ونجحت بوساطة التواصل البصري في كسب ثقته وتواصله ورهافة حسه وعاطفته تجاه الخطاب القرآني التي تتحول بدورها إلى إشارات أيقونة تتجسد بأصوات حية تتكلم بصمت .

ومنهم من يرى أن الأيقونة اقتصر على كونها مجسمات مادية محسوسة تتمثل بـ(صورة، ورسوم، ولوحات، وزخارف) ٤. يستعين النص بها لتجميلها ، ويزيد من دقته وتفسر للمتلقي بعض الملابس والأمور الغامضة ، أيضا تفصح وتبين عما في داخلها ، فإنه يتحدث عن الأيقونة المجسدة فقط، ولعله كان يختصها بالأيقونة الدينية المسيحية المعبرة للسيد المسيح وأمه عليهما السلام ؛ وإنما مفهوم الأيقونة لا يقتصر على ما يراه فقط ، وإنما توسع مفهومها واشتغالاتها لتشمل الألفاظ أو السلوكيات ، لتكشف عن نصوص داخلها ، وتحولت هذه الألفاظ إلى صور أيقونية ومنها اللون، وهذا ما سوف نتعرض له في قراءتنا للون ومساحة اشتغاله بوصفه نسقا نصيا في الخطاب القرآني. ومن وظائف الأيقونة كذلك (أنها تساعد القارئ في تفهم معرفة ما عندها من إشارات مرسلة، ومن جهة ثانية تسبر بعض ما في طيات هذا الكلام وتحجبه وتخصيصه حتى تسمح بقراءة مفسرة للكلام المفصح عنه) ٥. ويتضح من خلال تعدد وظائف الأيقونة وسعة اشتغالاتها أنها لم تعد مجسمات فقط، كما في أول ظهورها واستعمالاتها واقتصارها دينيا، بل إنها أصبحت ذات مفهوم أوسع لتشمل البصرية والفكرية والفضية والمكانية مستندة بذلك على (توجيه القراءة ، وتوضيح المعنى ، فالبحث في الأيقونة يكون بحث في المعنى) ٦ .

ومن اللافت للنظر أن علاقة المماثلة تبدو رابطة طبيعية بين المعنى المتخيل والأيقونة ؛ وتكون الرسالة الأيقونية أكثر حقيقة في إبلاغ التجارب وهذا لا يحتاج إلى صعوبة لوجود المماثلة بين شيين واقعيين ، وهذا يتضح في الأعمال المتخيلة في الفنون المسرحية أو الرسم أو السينما ، فالمتلقي يستقبل تأثير ما يعرض أمامه ، لأن المماثلات الجزئية الحاصلة المعروضة أمامه تجعله يقبل إمكان مشابهة ما يعرفه بما لا يعرفه فينكشف له(٧). وقد لا تكون الأيقونة قائمة على علاقة المماثلة أحيانا ، وإنما يأتي دور المتلقي الواعي وعلى وفق القراءة الإنتاجية ليكتشف الأيقونة المتخيلة وليست الحقيقية القائمة على مطابقة الشيء وصورته من خلال إقناع المتلقي بإمكان المعنى المتولد في الأيقونة المتخيلة يطابق المعنى الحقيقي وصورته .

فالأيقونة بوصفها علامة تامة غير مرهونة بالمشابهة فقط ؛ بل إنها ذات خصائص أو دلالات رمزية أخرى ، وقد يكون الدال الأيقوني والدال البصري من مادة واحدة ولكن مدلولها يختلف نتيجة اختلاف شكلهما ، وعلى هذا الأساس يبنني تصور المتلقي وإدراكه . مما ينتج إرجاع الدال إلى المدلول نقطة تحول في صميم عملية التلقي التي تنطلق حركتها من إعادة تصنيف الفنون المتداخلة في مجموعات مفهومية جديدة .

ونخلص إلى أن الأيقونة نافذة أو علامة لغوية أو صورية تنصدر النص بأشكاله المتعددة والمتنوعة على وفق الجنس الذي ينتمي إليه ؛ وتعطي للنص هويته الخاصة به وتمنحه دلالة تميزه عن غيره من النصوص ، والتي تختصر النص برمته من خلال نسق لفظي أو صوري قادر على اكتناز معان وثقافات وأنساق مختلفة ، وقد تكون متضادة من نص إلى آخر أو تمنحه دلالات متعددة وكثيرة بحسب السياق الذي تتولد فيه . وهي بمثابة مفتاح للولوج إلى شبكة من النصوص المضمرة مطمورة في طبقات النص .

المبحث الثاني/ سوسولوجيا اللون نسق ايقوني:

اللون الأبيض:

يعد اللون في الخطاب القرآني أيقونة بصرية وسمعية وذهنية تكتنز من الدلالات والإيحاءات المتعددة التي تفتح فيها مخيلة المتلقي ؛ فتشكل هذه المؤشرات الأيقونية (نقاط استرشاد لإطلاق خيال القارئ) ٨ . ويتحقق ذلك بوساطة اللغة والبصر التي تمثل الآلية الرئيسية في تحويل النص إلى أنساق ، واللون الأبيض من الأنساق اللونية التي شكلت حضورا واسعا في الخطاب القرآني لما جسده هذا اللون من إيحاءات ورموز تعدت نطاقه الوصفي ، أي المطابقة إلى ما هو أعم حيث تتسع دائرته الأيقونية متجاوزة مساحة اشتغاله من حيث كونه لونا محضا إلى مساحة اشتغال قابلة للتفسير والتأويل بعيدة عن تفسيره التقليدي بتضمنه معان ورؤى وسلوكيات أعم من المعنى الوصفي الذي يمكن إدراكه ببسر وبقراءة استهلاكية ، ويتجلى ذلك بحضور اللغة التي يمثل اللون فيها لغة رمزية تحمل في طياتها طبقات نصية تحتاج إلى إدراك المتلقي . لأن (اللغة هي أساس الجمال والإبداع الفني) ٩ . والخطاب القرآني حمل صورا لونية عدة بشكل واضح وبالألفاظ اللونية ذاتها ، ذا حمولة دلالية مختلفة في اللون الواحد ، لأنه يحمل شحنة رمزية قابلة للتأويل ؛ فنجد الصور الذهنية مغايرة لاختلاف نفسية المتلقي في التعاطي معه ؛ لأن هذه الصور تتكأ على اللغة ، فهي أيقونة مرسومة بالكلمات مثلها مثل اللوحة الفنية ، أي أن الكلمات تعوض الخطوط والألوان وهي(تتعامل بأدوات لغوية وتصويرية) ١٠ .

ومن الألوان التي وردت على صورة أيقونية وذو حمولات دلالية متعددة ومختلفة لما يحمله من إرث لدى المتلقي ، فجاء اللون الأبيض في عدة آيات قرآنية تبين اشتغالاته وفقا لطبيعة توصيف المتلقي أو ما يشعر به وطريقة تعاطيه معه وقد ورد ذكره اثنتي عشر مرة كما في قوله تعالى :

١- ((أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَّاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَّاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)) ((البقرة ١٨٧)) ١١. إن الأيقونة اللونية جاءت لتحديد دلالة زمنية قائمة على أحكام عقائدية ، وهي لبيان الوقت الحقيقي لبداية الصوم الذي يعد ركنا من أركان العبادة والإمساك عن مباحاته متخذاً من الأيقونة اللونية في النص القرآني من حركة القبائل العربية في تلك المدة الزمنية التي نزل فيها النص لاعتمادهم في تنقلهم على السير ليلاً، لاسيما في رحلاتهم التجارية أو البحث عن الماء والكلأ أو السفر . وهذا ما ذهب إليه القرطبي في تفسيره بقوله : (الخيط الأبيض : ضوء النهار ويقول : الخيط الأسود : سواد الليل وتأويله على قوله قائل هذه المقولة : وكُلُوا بِاللَّيْلِ فِي شَهْرِ صَوْمِكُمْ ، وِاشْرَبُوا ، وَبَاشَرُوا نِسَائِكُمْ ... من أول الليل إلى أن يقع ضوء النهار وبطلوع الفجر من ظلمة سواد الليل) ١٢ . لذا كانت أوقات الليل والنهار معروفة لديهم وراسخة في أذهانهم ؛ لكثرة اعتمادهم في سيرهم ليلاً على حركة النجوم وتحديد طرق اتجاهات مسيرهم ، وهجوعهم في وقت النهار بسبب قساوة الحياة وشدة حرارة الصحراء، وعدم توفر المياه الجارية وندرتها وتباعد المسافات بين آبارها ، فكان السير ليلاً يخفف من وطأة الحر وشدته ، فجاءت الأيقونة اللونية الممثلة بالبياض لبيان وتحديد الوقت لديهم لمعرفة التفصيلية به . ولرفض حالة اجتماعية و دينية كانت سائدة في المجتمع القبلي العربي قبل الإسلام واستمر البعض منهم في اختتان أنفسهم على الرغم من تحريم اتصالهم بنسائهم حتى أيام صومهم في الجاهلية ، وكذلك رفثهم وعدم امتناعهم ، فالرفث (كل كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه ، وجعل كناية عن الجماع) ١٣ ، وقد تصدرت لفظة الرفث الآية لشيوعها في المجتمع الجاهلي ، وهي من مفطرات الصوم ؛ فجاء الإذن وحصول الإباحة قبل ولوج النهار وإدبار الليل ، وهذا المنع يستمر حتى دخول أول الليل ، فالأيقونة اللونية المتمثلة باللون الأبيض جاءت على وفق الخطاب القرآني في هذه الآية مشحونة بحمولات دلالية متعددة خارجة عن مساحة اشتغال اللون الأبيض بوصفه لونا بذاته ، بل اشتغل على مساحات بعيدة تحمل دلالات زمنية وشرعية وعقائدية وتوضيحية وتسامحية لتنظيم العلاقة الأسرية بين الزوج والزوجة ، ونهي عن عادة سائدة في الجاهلية محرمة عليهم حتى في الجاهلية أيام صومهم .

٢- ومن الآيات التي حملت دلالة اللون الأبيض بوصفه أيقونة لونية مغايرة لما جاءت عليه في الآية السابقة كما في قوله تعالى : **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ** (١٠٦) **وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** (آل عمران/ ١٠٧) (١٤) .

إن توظيف الدلالة اللونية في النص القرآني يعكس حالة ذهنية متصورة لدى المتلقي ، وهو بياض الوجه ؛ لأنه يمثل الجزء الخارجي المكشوف لجسد الإنسان ، فإن الحالة النفسية تظهر بوضوح عليه ، وتبين أفعاله وتصرفاته المكبوتة ، من خلال انعكاس هذه الأفعال على قسامات الوجه الظاهرة . فضلا عن وصف هذا الجزء من جسد الإنسان بالبياض يمثل دلالة أيقونية لجمال اللون و مقبوليته لدى أهل البادية من الأعراب على عكس سواد الوجه بسبب ندرته لغلبة اللون الأسمر والأسود في الجزيرة العربية بسبب حرارة شمسها وشدة سموم رياحها الحارة التي تترك آثارها اللونية على وجوههم ، إضافة إلى قرب نجد والحجاز واليمن والأماكن القريبة لهما إلى الدول الأفريقية من ذوات البشرة السوداء أو القريبة منه ، كما أن غالبية الرقيق الذين يباعون في الجزيرة العربية هم أبناء هذه الدول كرقيق وعبيد ، لذا أصبحت دلالة اللون الأبيض تخرج عن كونه لونا إلى أيقونة تدل على رفاهية الإنسان ونعيمه ومن طبقة محترمة لديهم ، فحال الكافرين أنهم مبغضون عند الله تبارك وتعالى ؛ كمنزلة الإنسان الذي يسترق لديهم أو يعامل معاملة غير إنسانية ، بسبب الطبقة السائدة لديهم في تصنيف مجتمعهم ، لذا جاء الوصف القرآني للمؤمنين ببياض الوجه ؛ دلالة أيقونة محببة لما يحمله هذا اللون من إرث في سلوكيات المجتمع العربي وما توارثوه من أسلافهم ، ومن الحضارات القريبة منهم ، إذ كان اللون الأبيض لديهم يمثل رمزا للطبقة الحاكمة وتزين بها قصورهم ومقتنياتهم ؛ ويكون زيهم الديني في المناسبات والأعياد ، كما أن اللون الأبيض يملك قداسة في الحضارات القديمة ، لاسيما في وادي الرافدين لأنه كان لباس ألتهما الذين كانوا حكاما ولباس كهنة معابدها ، ولا يسمح لأفراد الشعب بارتداء الملابس البيضاء ؛ لغرض التفريق والتمييز الطبقي بين سادة المجتمع وعامتهم (١٥) . لذا جاء الخطاب القرآني يحمل أيقونة اللون الأبيض في صدارته ؛ ثم يختم النص ببيان جماليته ومنزلته في الآية التي ترد بعدها ، وهو حال المؤمنين الذين ينعمون في حياة مرفهة وكريمة تحفها الرعاية الإلهية الدائمة التي لازوال لها .

٣- وتبقى أيقونة اللون الأبيض لصيقة بالإنسان - النبي موسى - دون غيره من المخلوقات وبيان لنبوته ومعجزة سماوية لتدل على صدق إ دعاء النبي موسى عليه السلام ولتكون مصداقا لصدق بينته . وبيان عجز فرعون في رد موسى وأخيه كما في قوله تعالى : **((ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين))** (الأعراف/ ١٠٨)) ١٦ . فاللون الأبيض تغيرت دلالاته من الوجه ونعيم الآخرة إلى كونه يحمل دلالة إثبات نبوة موسى وأخيه من خلال اليد ؛ وهي إحدى جوارح الإنسان التي تدل على

القوة، فالأيقونة اللونية ليست محضة بل هي إيقونة إعجاز للمدعي وإبطال لإلوهية فرعون وملئه وعجزهم في الدفاع عن معتقدتهم، وإن توسلوا بكبار سحرتهم حيث كان السحر مزدهرا في عصر فرعون ودولته، ووصل كبار ممارسيه إلى أرقى طبقات المجتمع الفرعوني وناهزوا طبقة الكهان في مراتبهم وقربهم من فراعنة مصر، وأدنى مرتبة من طبقة الفراعنة الإلوهية للمصريين. وهم بذلك يمثلون طبقة عالية مع الكهان مطلقة يدهم بالجبروت والسرقة وقتل النفس واسترقاقهم لطبقات المجتمع الضعيفة، فضلا عن طبقة الفراعنة فجاء اقتران اليد باللون الأبيض الدال على نصاعة أمانة موسى وبياض سيرته، ونقيض سيرة الطبقة الفرعونية وملئهم من الطبقات الأخرى، فمثلت الإيقونة اللونية البيضاء دلالة على الطهارة والبراءة والعفة من كل دنس وظلم، وجاء الخطاب القرآني حافلا باللون الأبيض المقرون باليد؛ لأن اليد تمثل رمز القوة والبطش والاستيلاء على حقوق الرعية لدى الجبابرة وأعوانهم، وهذه الإيقونة تمثل إعجازا للذين لا يؤمنون إلا بالماديات من المجتمع الفرعوني وغيرهم الفاقدة للون الطهارة الموصوف بالأبيض، وتمثل أيقونة روحية للمجتمع الإيماني الذي يمثل لديه المنزه من كل عيب وسوء.

٤- وتبقى دلالة اللون الأبيض كأيقونة دالة على الطهارة وأثبات للنبوة ومحطة إقناع لمن حضر المحاورة سواء أكانوا من قوم فرعون وأتباعه أم من تلة المؤمنين بنبوة موسى من بقية يوسف عليه السلام وإخوته ومن العبرانيين فجاء الخطاب الإلهي إليه معززا بالقوة البصرية الإقناعية الحاملة للأيقونة اللونية البيضاء الإعجازية لمن حضر الواقعة؛ ولترسيخ المشهد الحوارية بينهما جاء النداء بقوله تعالى: (وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ) (طه/ ٢٢) ١٧. لتكرار عملية تغير اللون من حالتها الطبيعية إلى حالة جديدة، ولكن هذا التغير يبقى مقتصرًا على نبوة موسى ومصاحبة للمصلحين المعنوية؛ وهي دلالة محمودة إذ ختم النداء بكلمة من غير سوء؛ لبيان أن التحول في اللون ليس حالة مرضية لأنها خالفت المؤلف عن لون اليد الطبيعي ولم تترك أثرا نفسيا غير مرضي، بل إيقونة تدل على الطهر والنقاء على الرغم من أن موسى عليه السلام نشأ في بيت فرعون الملوثة يده بكل ظلم وخطيئة، بينما بقيت يد موسى ناصعة من كل عيب وسيئة؛ لذا جاءت الإيقونة اللونية في الخطاب القرآني معادلا موضوعيا للصراع بين الحق والظلم والإنسانية بكل معانيها وغير الإنسانية بكل قبائحها وآثامها. فضلا عن أن بياض اليد كأيقونة لونية حملت دلالتين في النسق القرآني هما: الأولى أن بياض اليد كان لونا مرثيا ماديا لدى كل من حضر الواقعة لإثبات معجزة وبطلان دعوى المنكر لها كما في قوله تعالى: ((ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين (طه/٣٣)) ١٨. وأحدث صدمة وتعجبا لدى الفريقين وخطف إبصارهم نتيجة تغير اللون ولكنه (مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ) (الشعراء/ ٢٢) ١٩. وقد اجمع المفسرون (على أنها كانت

تتألاً كضوء الشمس أو تبعث ضياء كضوء الشمس) ٢٠. والثانية : البياض المعنوي الدال على الطهارة والنقاء و الهداية و إنقاذ البشرية من الاستعباد .

٥- ولعل اللون الأبيض لما يمثله من تأثير على المتلقي مقرونا باليد إعجازا وتقبلا لديه ؛ لذا جاء الخطاب القرآني ليرسيخ فكرة اليد البيضاء الدالة على وضوح المشروع الإصلاحى للأنبياء المعزز بالقوة الربانية والتأييد غير المحدود ، وجعل اللون الأبيض معجزة يتسلح بها الأنبياء ، وهي معجزة قائمة على السيرة الحسنة بدلا من السيرة الملوثة للطغاة ، من خلال مشهد حوارى لزعة القوة القائمة على الظلم والطغيان واستعباد الناس بغير حق ؛ قبال قوة قائمة على صدق المشروع الإصلاحى ونظافته وثقة المتصددين وإيمانهم به ، لذا تعدد فعل تغير لون اليد وصيغته وزمنه ، فجاء الفعل بزمن الماضي دلالة على وقوع المشهد وانتهائه كما في الآية (٣٣) من سورة الشعراء ؛ بينما جاءت الآيتان الأخريان متصدرتين بفعلى الأمر (ادخل) و (اسلك) كما في قوله تعالى : وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتِ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (النمل/ ١٢) . وفي قوله تعالى : اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمُ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ مِنَ الرَّهْبِ فَاذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْتَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾ . ويتضح من خلال استعمال اللون الأبيض كإيقونة لونية متعددة الدلالات في الآيات الثلاث المتنوعة السبل التي جاء بها أن اللون جاء بصيغة مؤنثة تحمل صفة ثابتة غير قابلة للتغير والتبدل أو فقدان صفتها لمرة واحدة لا تتكرر ، وإنما هذه الصفة تبقى ملازمة لليد كلما جاءها الخطاب الإلهي بذلك لإظهار البرهان من الناحية المادية، وتبقى صفة ثابتة للنقاء والطهارة والأمانة لليد من الناحية المعنوية الروحية ، لذا جاء اللون الأبيض بصيغة فعلاء للدلالة على الثبوت والاستقرار ، فضلا عن أن هذه الصفة اللونية و هذه الصيغة جاءت كذلك ثلاث مرات ؛ دلالة على أن المعاندين والرافضين لدعوى موسى عليه السلام كانوا يأملون بعدم حصول تغير لون اليد أو لعله حصل مرة واحدة لا يتكرر؛ فجاء النداء بالتكرار لإخراج اليد وتغير لونها إبطالا لدعوى المعاندين بتكذيب موسى ، وتعزيزا لموقفه وإقناع قوم فرعون وتعزيزا للحجة عند أتباعه ، فكان التكرار دحضا لأقوال فرعون بأنه سحر خيل إليهم ؛ ولكن التكرار إشارة واضحة وحجة دامغة بثبوت اللون الأبيض وتكراره .

٦- جاءت دلالة اللون الأبيض كإيقونة مختلفة في النسق القرآني عما جاءت عليه في الآيات السابقة ، وإن اشتركت بأنها تمثل حالة انعكاس للإرث الذي يحمله الإنسان تجاه الأمراض التي يصاب بها، وكذلك أن اللون الأبيض ظل ملاصقا للإنسان ومتعلقا بالجزء المكشوف منه هو الوجه واليد والعين؛ وإذا كانت دلالة اللون الأبيض يعكس حالة جمالية، فإن دلالاته تغيرت كما في قوله

تعالى: (وتولى عنهم وقال يا أسفي على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) يوسف/٨٤ . ٢٣

فقد حمل اللون أيقونة مضادة بعيدة عن الجمالية وتقبلها في ذهن المتلقي ؛ ومثل نسقا معبرا عن الحالة التي يصاب بها الإنسان بفقد عزيز عليه ؛ فيتحول هذا الحزن وألم التفجع وشدة البكاء واستمراره إلى حالة مرضية ظاهرة للعيان ، وهذا التحول في اللون يمثل حالة غير مقبولة للعين وتفقد جماليتها ومحاسنها وجماليته أيضاً، فيصبح اللون الأبيض أيقونة ونسقا يبين عظم المأساة وحالة التفجع ومصيبة فقدان وغدر الإخوة والإصرار على المعصية ، وتأنيب النبي يعقوب عليه السلام لنفسه للتفريط بالأمانة وعلو منزلتها امتدادا لنبوته التي أودعت عنده من السماء ، فضلا عن حبه وشدة تعلقه به نبيا وابنا بارا تارة ، وتارة أخرى استفحال ظاهرة الحسد والبغض والكره والكذب ؛ والإصرار على المعصية وعدم مصارحته بالحقيقة والندم والتوبة وطلب المغفرة والاستقامة من قبل أبنائه لتغيب يوسف وادعائهم الكاذب على الرغم من معرفتهم بنبوته أبيهم وتتابع الوحي عليه . وهذا التحول في بياض لون عين يعقوب من السواد إلى البياض تعبيراً عن شعور اللامبالاة وفقدان الرأفة والرحمة لديهم وهم ينظرون أبا مفجوعا دون أن تتحرك مشاعرهم الإنسانية تجاهه والتخفيف عن ألم المعاناة ببصيص أمل له بما فعلوه مع أخيهم ، والبحث عنه لتحسس أخباره ، لذا جاء اللون الأبيض كإيقونة لونية ونسق يظهر مدى شدة الحزن فقد وردت لفظة الحزن واشتقاقاتها ثلاث مرات في سورة يوسف ٢٤ . بينما وردت لفظة الحب واشتقاقاتها أربع مرات في ذاتها ، أما الألفاظ التي تدل على الخيانة والكذب والخسران وعدم حفظ الأمانة والكيد والسرقة ووسوسة الشيطان والمكر والمعصية والفحشاء والمراوغة شكلت نسبة كبيرة من سورة يوسف ٢٥ ، بل أن تحول اللون رسخ عظم المأساة وفداحة الخطب بما حل بالنبي يعقوب ، وشعور المتلقي بها بدلالة تغير اللون من حالته الجمالية إلى وظيفة تفسيرية وصفية ظاهرية وباطنية ، موظفا الإرث لدى المتلقي بكون تغير لون العين من السواد إلى البياض حالة مرضية تفقد جمالية العين وقدرتها على الإبصار .

٧- إن دلالة اللون الأبيض كإيقونة لونية في نسق الخطاب القرآني تغيرت بتغير النسق الذي وردت فيه ، فكان منها لصيقا بالإنسان لبيان حالة ما ؛ ومنها جاء ملتصقا بجسده ؛ ومنها جاء لبيان موعظة وتذكيرا بعظمة الله وقدرته ، في تغيير اللون في سنخ واحد ، إلا إنها مختلفة لبيان جمالية ألوانها ؛ فهذا التغير في منظرها ولونها يترك أثرا محببا لدى المتلقي من أهل البادية والصحراء كما في قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (فاطر/٢٧) ٢٦ . بينما ورد اللون الأبيض في أية أخرى ترغيبا للمؤمنين في الجنة دار الآخرة وحثهم على العمل الصالح ؛ وبيانا لمنزلتهم ومستقرهم فكان وصف شرابهم فيها باللون الأبيض دلالة على جماليته من جهة ، ومن جهة أخرى دلالة على

طهارته ونقاوته . إضافة إلى أن اللبن يعد غذاءً رئيساً عند العرب ، لاسيما عند أهل الجزيرة العربية، فاللبن لديهم معادل موضوعي للحياة ؛ وزادهم المتيسر لهم في حلهم وترحالهم ، لارتباطه بدوابهم من إبل للقاطنين في الصحراء ، وأبقار وغنم للساكنين في المناطق التي يغلب عليها الطابع الحضري او الزراعي كما في قوله تعالى : (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكُأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ (٤٥) بِيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (الصفات / ٤٦)) ٢٧ . وحمل نفس دلالة الآية السابقة البياض المادي والبياض المعنوي الدال على الطهارة والنقاء . أما في الآية الثالثة التي جاءت ملتصقة بتوصيف النساء ، فلم يخرج اللون الأبيض من نسقه السابق في دلالاته الجمالية لتأثيره في المتلقي ورغبته فيه ؛ فجاء توصيف نساء أهل الجنة باللون الأبيض دون الإشارة إلى أجزاء أجسادهن وإنما كان وصفاً مجملاً ، وقد حملت هذه الدلالة نسفاً جمالياً لرغبة الإنسان في النساء البيضاء لاسيما في بيئة نقل من يتسمن بهذا اللون ، وقد أشرنا إلى ذلك بسبب طبيعة البيئة أو التمييز العنصري والطبقي النابع من استرقاق السود ومعاملتهم معاملة غير إنسانية ، لذلك جاء التوصيف لنساء أهل الجنة بهذا اللون لكون المرأة ذات البشرة البيضاء لها منزلة ومكانة تختلف عن غيرها لديهم فهي (كونها مصونة تحت الجناح) ٢٨ . لذا جاء وصفهن باللون الأبيض كما في قوله تعالى : (وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ (الصفات / ٤٩)) ٢٩ .

اللون الأخضر:

شكلت الأيقونية اللونية في الخطاب القرآني حضوراً لافتاً للنظر ، لما له من قيمة إيحائية ومنها: اللون الأخضر فقد جاء ترتيبه ثانياً من حيث توظيفه في النص القرآني بعد اللون الأبيض، لما يملكه من حضور جمالي يسر المتلقي ويريح بصره ويبعث في قلبه المسرة والارتياح ، فقد ورد اللون الأخضر في سبع سورٍ وثمانٍ مراتٍ بدلالاتٍ مختلفة بحسب الفكرة والسياق والنسق الذي ورد فيه ، ولعله يعود إلى قيمته ومكانته لدى المتلقي وما يتركه فيه من اثر نفسي ، الناتج من غلبة البيئة الصحراوية في البيئة العربية . وان كان في بعض الآيات جاء لوصف حالة معينة وقعت في بلد تكثر فيه الأراضي الزراعية ، ولكننا ننظر إلى توظيفه في نص نزل في بيئة تشح فيها الأراضي الخضراء لا من حيث وقوع الحدث . (وقد توزع اللون الأخضر على النبات ، والأرض ، والحيوان ، واللباس) ٣٠ . كما قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرَجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنَ النَّخْلِ قِنَاطٍ دَانِيَةً وَجَنَاطٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونِ وَالرَّيْحَانِ مَشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (الأنعام/٩٩)) ٣١ .

إن الآية القرآنية تشير إلى أهمية وعمومية اللون الأخضر في النبات بوصفه دلالة على الحياة فيه ، وان تغير لونه في بعض الأحيان لا يدل على موته ؛ وإنما على نضجه ، لأن الصفة الملازمة

للنبات منذ خروجه من الأرض هي الاخضرار ، ثم بعد ذلك يتخذ ألوانا أخرى بحسب طبيعته وفسلجته ، وهذا اللون يعطي جمالية ليست محصورة في النبات ؛ وإنما تكتسي الأرض كذلك بجمالية النبات بعد إن كانت جرداء ، وهذا الجمال نابع من اللون الأخضر تارة ، وتارة أخرى ببيان للقدرة الإلهية في إحياء الأرض التي يعتقد الإنسان أنه لا يمكن إحيائها . فالأيقونة اللونية في النص حملت دلالتين هما: جمالية والأخرى إعجازية .

٢- تتخذ الأيقونية اللونية الخضراء دلالة جديدة متمثلة بجمالية اللون وسريان الحياة فيه ملوؤها العطاء والخصب ، وتأمين العيش الرغيد في مواجهة الموت وجذب الحياة ، فجاء اللون الأخضر لتفسير رؤيا ؛ لما يحمله من حقيقة راسخة في أذهان المتلقي بإيجابيته ، ومنفذا لإظهار الحقيقة الخافية ، وموتا للظلم ورعاته من الكهنة ؛ و انبعاث حياة جديدة قائمة على الإنصاف . كما في قوله تعالى : (وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (يوسف/٤٣)) ٣٢ .

فالخطاب القرآني صريح بوصفه لرؤيا فرعون مصر ؛ وهو يرى في منامه تعدد هذه الرؤيا التي دعتة إلى المطالبة بإيجاد التفسير أو التأويل لها من خلال بيان دلالة اللون الأخضر في السنبلات الخضر التي أكلتها السنبلات اليابسات ، فالسنبال اليابسة دلالة على الموت والجذب والقحط والفناء ، إذ يرد اللون الأصفر في الخطاب القرآني يحمل تارة دلالة النضوج الدالة على توفر الطعام ورخاء العيش، وتارة أخرى يدل على الموت وهو المراد به في هذا النص ، فعبر عنه بالسنبلات اليابسة ؛ بينما السنبال الخضراء ذات دلالة مشحونة بالحياة التي تحمل الأمان وبعث الراحة والاطمئنان لدى المتلقي ، ولترسيخ هذه الدلالة فقد جاءت الدلالة اللونية الخضراء في آية أخرى تحمل الدلالة الإيجابية ذاتها ، كما في قوله تعالى : (يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (يوسف/٤٤)) ٣٣ .

فاللون الأخضر في السنبلات الخضراء قابلت البقرات السمان ؛ وهي دلالة واضحة للإشارة إلى أن السنبال الخضراء باعثة للحياة والرخاء والخصب والعطاء وتوفر الطعام الذي ينتج منه وجود بقرات سمان ، بينما جاءت دلالة السنبلات اليابسات الفاقدة للحياة باعثة للقحط والجوع وضنك العيش ؛ قابلت البقرات العجاف الدالة على فقدان مقومات العيش الرغيد وعدم توفر الطعام . فالأيقونة اللونية ذات دلالات متعددة منها : الخصب والعطاء والحياة ، واللونية المحضة ، والتحول من الظلم إلى الإنصاف والعدالة ، والحياة الباقية بدل الحياة الفانية ، والقدرة على الإدارة والتخطيط بدل السياسية القائمة على امتصاص قوت الشعب والاستحواذ على مقومات حياتهم الكريمة .

٣- وتبقى دلالة اللون الأخضر ضمن هذا الإطار اللوني الجمالي المحض ، لما يتركه هذا اللون من ارتياح ومنزلة لدى المتلقي ، فجاء توصيف للثياب أهل الجنة دلالة على أن الحياة باقية تسري

فيهم ؛ كناية عن قدرتهم على التمييز بين الحق والباطل ، وسلوكهم في طريق الله ، فكان اللون الأخضر للثياب يمثل أيقونة لونية تحمل دلالات متعددة منها : الأولى اللونية المحضة ، والثانية تدل على الحياة ، أي إنهم أحياء لا أموات ؛ لقدرتهم على التمييز بين الحق والباطل على خلاف أهل الضلالة الذين وصفهم الخطاب القرآني بالأموات سواء أكانوا في الدنيا أم في الآخرة . والثالثة دلالة على نعيم الحياة الآخروية التي ينعمون بها في دار الخلود . كما في قوله تعالى : **أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾** (الأنعام/٣١) . ولم تقتصر الأيقونة اللونية الخضراء على الثياب فقط ، بل اتخذت دلالة وبعدا آخر يتمثل بجمالية المكان المحاط بالأشجار والأوراق الخضراء والثمار أو (ضرب من الثياب مشبه بالرياض) (٣٥) . لمساكن المؤمنين وهم في سكينه وطمانينة عليهم سيماء الوقار والعز كما في قوله تعالى : **(عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾)** (الإنسان/٢١) (٣٦) .

٤- ومن الدلالات الأيقونية للون الأخضر في المدونة القرآنية ؛ ما يرتبط بالقدرة الإلهية لبيان القصور العقلي وعجزه لدى الكافرين ؛ من خلال عدم الإبصار بما يحيطهم من آيات كونية تبين القدرة الإلهية والتفكر بها ، على الرغم من معاشتهم لهذه الآيات ؛ ولكن عدم الالتفات إليها ينتج عدم الإبصار لحقيقة خالقها ببطلان اعتقاداتهم وضلالة تفكيرهم ؛ فجاء الخطاب يحمل صيغة السؤال والتذكير للناس بقوله تعالى : **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (الحج/٦٣)** (٣٧) . فجاءت الأيقونة اللونية الخضراء تحمل دلالة الإحياء للأرض الهامدة التي لا حياة فيها ؛ لغرض لفت انتباه الناس وإعادتهم إلى الصواب والتفكير السليم بمنطق وعقلانية ودلائل معيشة ؛ وهو تحول الأرض الجرداء إلى أرض خضراء مفعمة بالحياة ، وذات جمالية تبعث الارتياح والأمان لدى المتلقي ، وهذا التحول وبعث الحياة ناتج بفعل القدرة الإلهية ووسائل بعث الحياة الممثلة بانهمار الماء من السماء . فدلالة الأيقونة تحمل القدرة الإلهية الإعجازية ، والجمالية اللونية المحضة ، وبعث الحياة بعد الموت و وذات دلالة نفعية بتحول الأشجار الخضراء التي تؤمن الطعام إلى منفعة أخرى لإنساج الطعام والتدفئة ، كما في قوله تعالى : **الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقِدُونَ (يس/٨٠)** (٣٨) .

اللون الأسود:

١ - شغل اللون الأسود في الأيقونة اللونية القرآنية حيزا واسعا في الخطاب القرآني ، إذ ورد ذكره بلفظه الحقيقي سبع مرات في ست آيات ؛ وبدلالات مختلفة ومتعددة بحسب السياق الذي يرد فيه ، منها ما يرد لبيان نفسية المتلقي وتعامله معه وانعكاساته لمجتمع يرى اللون الأسود تعبيرا عن حالة طبقية متدنية ، ومثيرا للكآبة والحزن ، ويحمل إحساسا بالوحشة والغربة ، و الخوف من المجهول ،

ولباسا للمناسبات الحزينة والمواقف غير المحبوبة ، وصار مصدر شؤم للبعض منهم ؛ وأصبح مرتبطا بالموت ، والخوف من الظلام ، والتشاؤم من الغراب الأسود ، فكان اللون الأسود أيقونة لونية غير مرغوب بها لارتباطها بمعتقدات لديهم تثير فيهم شعورا نفسيا غير محبب. لذا جاء الخطاب القرآني مفعما بهذه الدلالات العديدة والمتنوعة تبعا لشعور المتلقي بسبب الإرث الحضاري والسلوكي والأسطوري الذي ورثوه من شعورهم تجاه اللون الأسود وتعاملهم معه ، كما في قوله تعالى : (أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفِثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُمْ وَأَنْبِئُوهُمْ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَىٰ اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (البقرة/١٨٧)) ٣٩ .

إن الأيقونة السوداء تحمل دلالات عقائدية عبادية زمنية تتمثل بتحديد وقت الإباحة من عدمه لممارسة فعل نبه إليه المُشْرَع المقدس سواء أكانت إباحة الأكل والشراب أم النكاح . وقد جاء اشتغال اللون الأسود بوصفه أيقونة لونية كنسق قرآني لتحديد دلالة زمنية ؛ لرسوخها في ذهنية العرب وتعاملهم بها ، فكانوا يسكرون وقت الليل في ترحالهم ؛ لقساوة الصحراء وشدة حرارتها ، واستحالة سفرهم في حمارة قيض صيفهم ، وخوفا على أنفسهم وعلى إبلهم ، فكانوا متبحرين بحركة النجوم وتغير ظلمة الليل لمعرفة أوقاته ، فتغيرت دلالة اللون الأسود من دلالة تثير الحزن والخوف إلى دلالة جديدة تحمل في طياتها الأمن وممارسة فعل عبادي على وجه أكمل دون خلل أو خطل .

والخيوط السوداء (سواد يأتي بعد البياض الأول فينسخه تماما) ٤٠ .

٢- يأتي اللون الأسود بوصفه أيقونة حاملا دلالة جديدة بحسب السياق الذي ورد ، وعلامة أيقونية كاشفة عن عمق دلالاته في الخطاب القرآني ، فجاء انعكاسا لحالة نفسية كاشفة عما آل إليه ؛ بسبب آثامه ومعاصيه ، وهذه الدلالة تكون ملاصقة للإنسان وتحديدا بالجزء الخارجي المكشوف منه؛ وهو الوجه ، فكان سواد الوجه توصيفا للكافرين ؛ لما يمثله هذا اللون من كراهية وعدم تقبل من المجتمع في ذلك العصر ، بسبب المكانة الطبقيّة والعزلة الاجتماعية ، وفقدان الحقوق وسلب الحرية . فكان أغلب هؤلاء عبيدا وأرقاء يباعون في أسواق الرقيق ؛ وتمتحن كرامتهم ويزاولون المهن التي يترفع عنها الإنسان من أبناء الطبقة الاجتماعية الرفيعة . وكان طعامهم على الرغم من مشقة أعمالهم لا يسد رمق عيشهم .لذا جاءت الدلالة الأيقونية مشحونة بهذا اللون لما فيه من أثر في وعي المتلقي في ذلك العصر من رفض له لبيان عاقبة العاصي وسوء منقلبه ومكانته في الآخرة .

كما في قوله تعالى : يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿ آل عمران/١٠٦ ﴾ ٤١ . فالأيقونة اللونية جاءت كناية للتعبير عن انعكاس أعمال الكافرين على وجوههم التي حولت وجوههم إلى بشرة سوداء يرفضونها في حياة

الدنيا بسبب منزلتهم الاجتماعية ومعاملتهم السيئة لهم ، وهذا التوصيف لهم لتذكيرهم بعاقبة أعمالهم؛ لكي يرتدعوا ويعودوا إلى طريق الصواب والحق ، وهذا التوصيف جاء متساوقا مع ما يمارسونه ويعاملون به أصحاب البشرة السوداء الأرقاء ، فيكون أكثر تأثيرا في أنفسهم وتبشيرا للمظلومين من جراء أفعال ظالمهم .

٣ - تبقى الأيقونة اللونية السوداء ملاصقة للإنسان في الخطاب القرآني ومنفصلة بدلالة جديدة ، لكن تبقى مساحة اشتغالها على الوجه ؛ للتعبير عن سلوك اجتماعي رافق إنسان ذلك العصر . ودلالة هذا اللون تعبر عن حالة مذمومة ومرفوضة ؛ وتحول الوجه إلى اللون الأسود كناية عن الغيظ والحزن الذي يعتري إنسان ذلك العصر؛ بسبب طبيعة الحياة الاجتماعية وطغيان السلوك المنحرف في التمييز الجنسي للبشرية ، كما في قوله تعالى : (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (النحل/٥٨)) ٤٢ . وهذا التوصيف لهم ناتج عن ولادة الأنثى التي كانت تمثل لديهم عبئا اجتماعيا ، لاسيما عند القبائل القاطنة بعيدا عن مناطق التحضر في الجزيرة العربية ، بسبب ضعفها وعدم قدرتها في الدفاع عن نفسها لانشغال هذه القبائل بالحروب المستمرة فيما بينها لأسباب شتى منها : تفاخر وتناظر أو تعريض، أو كسب عيش في إغارة أو تعظيم أموالهم، أو على الماء والكلاء، أو فرض الهيمنة والسيطرة ، أو المطالبة بديات قتلى لهم ، أو الإخلال بنظام الإجارة المتعارف بينهم، أو قطع طريق تجارة وغيرها من الأسباب التي تدعو إلى الشحناء والمباغضة . وكل هذه الأسباب تجعل الأنثى هي الحلقة الأضعف في هذه الصراعات ؛ لأنها تؤخذ سبية وتنتهك حرمتها وتسلب عفتها وكرامتها ؛ لعدم استطاعتها أن تدافع عن نفسها تجاه هذه الغوائل ووحشية السلوك . فيشعر الأب بوصمة العار التي تلاحقه عند سبها ، وتصبح عارا أبديا يلاحق قبيلتها ويصبح الأب عبدا فاقدا لكرامته ومنزلته الاجتماعية في قبيلته ، فضلا عن الأعباء الاقتصادية التي يرون أنها مستهلكة غير قادرة على جلب المنافع الاقتصادية التي تعظم من مواردهم وترفع من مستواهم الاقتصادي ؛ لأنه الأساس الطبقي والاجتماعي الذي يحكم القبيلة في ذلك العصر . فالخوف يلزمه من هذا المولود الجديد الذي يكون مآله دسه في التراب تخلصا من العار الذي سوف يلزمه . ونجد توصيف اللون الأسود ماثلا وملاصقا للإنسان في الخطاب القرآني وتحديدا وجهه ، للذين يتحدثون بغير هدى ، كما قوله تعالى : (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (الزخرف/١٧)) ٤٣ . فاللون الأسود علامة أيقونية عندما تصبح معبرة عن الإنسان ولصيقة به ؛ ويكون الوجه كاشفا عنها تصبح هذه الأيقونة مشحونة للتعبير عن حال الكافرين ومآلهم ، وانعكاسا لذنوبهم ومخالفتهم لطريق الهدى وإتباع الضلالة . واللون الأسود لا يخفى على وجههم على الرغم من شدة أهوال يوم القيامة ، فالناس يرونه وسمة من سمات الكافرين التي تميزهم عن غيرهم .

كما في قوله تعالى : وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (الزمر/٦٠) ٤٤ .

٤- ولم تقتصر الدلالة الأيقونية للون الأسود على أنها دلالة انعكاسية لأفعال الكافرين والمعاندين ومرتبطة بوجه الإنسان دون غيره ، للدلالة على الآثام والضلالة ، أو تحديد دلالة زمنية لفعل عبادي، أو سلوك اجتماعي . بل جاءت وظيفته الأيقونية ذات حمولة إعجازية لبيان القدرة الإلهية و تنبيه الغافلين وإرشادهم لتحري البصيرة في القدرة على خلق الأشياء وبألوان متعددة على الرغم من أن المخلوق من سنجية واحدة ؛ كما هو في الثمار والنبات والجبال وغيرها من المخلوقات ، فالجبال خلقت طرائق متعددة ، ومنها ألوانها كما في قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَايِبُ سُودٌ (فاطر/٢٧)) ٤٥ . ولغرض بيان شدة سواد الجبال وعدم التفات المعاندين إلى هذه القدرة الإلهية من خلال صورة تقريبية، ف قيل (جمع غريب وهو المشبه للغراب في السواد كقولك اسود كحللك الغراب) ٤٦ .

اللون الأصفر:

لم يغفل الخطاب القرآني اللون الأصفر بوصفه علامة أيقونية متعددة الدلالات ، وذات إichاءات متغيرة بحسب السياق الذي تنتظم فيه ؛ وقد ورد اللون الأصفر خمس مرات وبذات العدد من الآيات. (والأصفر ثالث الألوان الحارة ، بعد الأحمر والبرتقالي ، وهو لون التنوير والحكمة والحماسة ، والتفاؤل ، والأمل ، والمرح ، والوضوح والثقة يوحي بالقوة ، ويمثل التركيز والذكاء ويساعد الذاكرة) ٤٧ . فأيقونة الدلالة اللونية الصفراء حملت بعدا يتمثل ببيان مقدار الطاعة ، ومدى الاستجابة في تنفيذ ما هو مطلوب منهم بدون تردد ولجاجة ومماثلة . فكان الخطاب الإلهي لقوم النبي موسى عليه السلام بتقديم قربان لله تعالى دون تحديده ، ولكن الممانعة وعدم الرضوخ والتسويق المتكرر وفقدان الإرادة والرغبة بالإمتثال، جاء النداء يُبين نوعية القربان وتوصيفه حاملا تشديدا وفضحا لنواياهم الراضية لذلك من خلال ايقونة لونية تحمل الدلالة الصفراء ذات لون فاقع يسر الناظرين ويدخل البهجة عليهم ، كما في قوله تعالى : (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْثُهَا تَسُرُّ النَّاطِرِينَ ﴿البقرة/٦٩﴾) ٤٨ . وقد تنير فينا الدلالة الإيقونية اللونية سؤالا لماذا بقرة صفراء ؟ واستكمالا للإجابة عن السؤال الذي فرضه البحث لماذا اختار النص الإلهي الأيقونات اللونية في نسيج خطابه ؟ وما هي دلالاتها ؟ .

ولعل ذلك يعود إلى حب اليهود إلى البقر وعدم قبولهم فكرة القربان لانه سوف يفقدون من ثرواتهم ، فضلا عن كون ثمنها أعلى من ثمن الأبقار ذات الألوان الأخرى ، وهو لون محبب لدى اليهود ؛ لأنه قريب من لون الذهب . إضافة إلى صفة البخل التي يتسمون بها ، فكان اللون الأصفر دلالة

على حب اليهود لكل ما هو ثمين وبخلهم ، فكانت محاولاتهم للجوجة بتكرار بيان التوصيف والنوع والعمر ؛ لغرض المماثلة والتسوية رغبة في ثني موسى عليه السلام عن تبليغ النداء الرباني أو رفعه عنهم . فجاء الجواب على استفساراتهم في قوله تعالى : قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةً لَا شِيبَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (البقرة/٧١) ٤٩ . فدلالة الأيقونة اللونية الصفراء اتسمت بحمولة جمالية ، ولونية محضة ، وحب له لقربه من المعادن النفيسة وعدم التفريط بما يتصف به لارتفاع ثمنه فينة ، وفينة أخرى تدل على سلامة البقرة من الأمراض والعيوب ، (أن خير الأبقار وأفضلها هو ما كان لونها شديد الصفرة في صفاء (فاقع) ، وأنه على قدر صفاء اللون ، وسلامة الأسنان تكون صحة البقرة) ٥٠ . حسب ما قرره علم الطب البيطري .

٢- تتخذ الدلالة اللونية الصفراء بوصفها أيقونة حاملة دلالات متعددة ؛ فجاءت في نسيج الخطاب القرآني من خلال انحراف دلالي عن المعاني السابقة بحسب السياق الذي انتظمت فيه ، فتغيرت دلالاته الجمالية من بعث المسرة والارتياح لدى المتلقي إلى دلالة أخرى تُبين آثاره غير الجمالية ؛ بل نذير شؤم وعلامات للعذاب وفقدان للحياة ، كما في قوله تعالى : (وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ (الروم/٥١)) ٥١ . فكانت أيقونة تنبيهية وتحذيرية للكافرين بضلاتهم وانحرافهم عندما تقترن باللون الأصفر أو الأسود وتصبح علامة على العذاب ، مغاير لما يعرف عن توظيف الريح بدون أن تقترن بأي لون ؛ فتكون ريح خير ومساعدة وتبشير للمؤمنين ، فيبوسة الزرع بعد اخضراره وتحوله حصيدا تذروه الرياح من غير فائدة علامة تحذيرية للكافرين لعلمهم يرجعون عن غيهم وطغيانهم .

٣- وتبقى دلالة اللون الأصفر في نسيج المدونة القرآنية نسقا أيقونيا مشبعا بحمولة فقدان الحياة وزوالها ؛ وعلامة على التغير والذبول ، والانتقال إلى مرحلة جديدة في النبات ، من اخضرار يدل على حيوية الحياة فيه ؛ إلى اصفرار غير دال على النضوج ، بل سريان الموت إليه ، ليتحول إلى حطام هشيم تذروه الرياح ليبوسته وخفته بعد إن كان ممتلئاً بكل علامات ومقومات الحياة . وهي أيقونة تنبيهية للمعاندين ، وشاهد حي يتعايشون معه يوميا ومحيط بالإنسان ، وتبقى الأيقونة اللونية الصفراء في النسق القرآني مصاحبة للنبات ؛ ومرتبطة بالفعل (هاج) : أي بمعنى اصفر وطاب ، إذا اسند إلى النبات لأجل التنبيه من الاغترار بجمالية الحياة الفانية ، وجاء التوصيف بهذه الأيقونة اللونية كناية عن زوال الحياة كزوال النبات ، فهي دار مزرعة للأخرة ، كما في قوله تعالى : اَعْلَمُوا أَنَّهَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ (الحديد/٢٠)) ٥٢ . إضافة إلى الدلالات المتعددة والمتنوعة ؛

فإنها اختزلت الكثير من الألفاظ والأحداث بصورة تشبيهية معبرة ؛ من خلال نسق ايقوني يحمل لونا ذا دلالة صفراء لنبات زائل بعد أن كان يعج بالحياة والجمال إلى حطام تقابله حياة زائلة فانية قوامها اللعب اللهو .

٤ - تتوشح الأيقونة اللونية الصفراء بعلامة جديدة ، وتوسع في المعنى في نسق قرآني واضح وبدلالة نابغة من بيئتها ؛ متخذة من حياة البادية وطبيعة العيش فيها ، والغرض منها بيان عظم نار جهنم وأهوالها وشدة صفتها وفداحة خطبها ، فجاءت الأيقونة اللونية لوصف أمر غير مألوف لديهم ؛ ولم تتحقق رؤيتهم له ، فجاء وصف نار جهنم من صورة بصرية يتعايشون معها ويألفونها ؛ وكأنها تتبع من باطن الأرض وتتصاعد إلى السماء وتتسع مساحتها متخذة من الإبل الصفر ، وهي تنتشر في الصحراء . وعلى الرغم من جمالية اللون الأصفر في الإبل وانجذاب العرب إليه ؛ إلا أنه اتخذ معنى ودلالة جديدة للترهيب وإثارة الخوف والتحذير من جهنم وشرها المتطاير ، (فالشرر يتتابع في حجم البيت من الحجر ، فإذا تتابع ظهر كأنه جمال صفر ترتع هنا وهناك) ٥٣ . وتتضح دلالة هذا المعنى في قوله تعالى : (إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ) (المرسلات/٣٣) ٥٤ . وهذه الشرر والنار كأنها بقرت الأرض ، أي (شق لما كان شقه واسعا أستعمل في كل شق واسع) ٥٥ . لذا جاء وصف النار بهذه الصورة لاتصالها تشبيها لها بالجمال ، ف (الجامل قطعة من الإبل معها وراعيها كالباعر) ٥٦ . ولبيان لون النار الصفراء فقد جعلها كلون المعادن ، و (قيل بل أراد به الصفر المخرج من المعادن ومنه قيل للنحاس صفر) ٥٧ . وهذه النار تخرج كأنها (أصول الشجر) ٥٨ .

فالأيقونة اللونية الصفراء في النسق القرآني حملت دلالات متنوعة بحسب سياق ما انتظمت فيه منها ما كان مختصا بالحيوان ، والنبات ، والريح ، ونجد توظيف هذه الدلالات ناتجة من طبيعة الأقسام الموصوفة وأثرها النفسي لديهم باستخدام الألفاظ اللغوية الناتجة من الإرث السلوكي والحضاري الذي كان يتعامل به العرب وأثر هذا اللون في ذاتقتهم وانطباعاتهم عنه وتعاملهم معه .

اللون الأزرق:

لم تشكل الأيقونة اللونية الزرقاء حضورا كغيرها من الدلالات اللونية الأخرى في نسيج الخطاب القرآني ، لذا جاءت الأيقونة الموصوفة بهذا اللون نادرة ، إلا في موضعين محددين ، أولهما : توصيف لوجوه الكافرين المتغضنة من شدة الزرقة . وثانيهما : توصيف لحالة الخوف والرهبنة التي تعتري الكافرين . ولعل عدم ورود اللون الأزرق كغيره من الألوان لعدم تحدد مدلوله عند العرب ؛ وندرته لديهم فلم تكن العيون الزرقاء مألوفة عندهم ؛ كي يمثل دلالة جمالية . ولكن هذا التوصيف لتغضن الوجوه ناتج من بيئة الطبيعة للبادية ، إذ تتغضن أجسام الحيوانات النافقة بسبب ما ، مما تثير عدم الارتياح والنفور منها بسبب احتباس دمها و تغير لون جثتها إلى الأزرقاق ، لذا جاء

توظيف اللون الأزرق كأيقونة ذات دلالة سلبية ، كما في قوله تعالى : (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (طه/١٠٢)) ٥٩ . فالأيقونة اللونية جاءت لتوصيف الكافرين الذين ضلوا طريق الحق ؛ ففقدوا البصيرة و نور الإبصار المعنوي في الدنيا وعقابا لهم بفقدان البصر في الآخرة الذي لا نور فيه ، من خلال توصيف لحالة الكافرين بنسق لوني يثير عدم الراحة والخوف والرهبة من النظر إليهم ، وتنبية للمؤمنين بعدم الانحراف عن طريق البصيرة وتبشير لهم بما سوف يؤول إليه حال الكافرين . فالنسق القرآني للأيقونة اللونية ذات اللون الأزرق تحمل دلالتين هما : الأولى وصف حالة الكافرين . والثانية فقدان البصر والبصيرة في الاهتداء إلى طريق الحق .

اللون الأحمر:

لم يرد اللون الأحمر كأيقونة لونية في نسيج المدونة القرآنية ؛ إلا مرة واحدة بلفظه الصريح ، ولم نجد له اشتغالا كبيرا وفق الصيغة التي ورد به ، ولعل ذلك يعود إلى قلة ورود هذا اللون واشتغالاته عند القاطنين في الجزيرة العربية ؛ بسبب طبيعة الحياة وبيئتهم القاسية ، وعدم وجود الأنهار الجارية ، وندرة الأراضي الخصبة والمساحات الخضراء ، لاسيما في مناطق تواجد هذه القبائل البعيدة عن الحواضر المستقرة ، وهذا يفقدهم فرصة الاستماع بالأزهار والورود ذات الألوان الزاهية ؛ ومنها ما كان لونه احمر ، التي تحتاج إلى بيئة معتدلة الحرارة وتوفر الأجواء الطبيعية المساعدة لنموها وبقائها حية غضة . فلم نجد لهذا اللون استعمالا وظيفيا واسعا ، لذا جاء توظيفه في النسق القرآني بلفظه الظاهري مرة واحدة ؛ لغرض تنبيه الكافرين بالقدرة الإلهية وعدم تبين آياته على الرغم من معاشتهم لها ؛ وعدم قدرتهم على الإتيان بهذه المخلوقات أو بشيبه مثلها ، ولكن العناد والإصرار عليه ديدنهم . وترسيخ وتثبيت لعقيدة المؤمنين بمبدئهم والسير والثبات عليه . كما في قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (فاطر/٢٧)) ٦٠ . إن الأيقونة اللونية الحمراء سُحنت بدلاتين هما : الأولى إعجازية لبيان القدرة الإلهية في الخلق والقدرة على إيجاد الألوان المتنوعة والمتعددة لسنخ واحد ، على الرغم مما تصف به الجبال من قوة وصلابة ، يقابله هذا التنوع والتعدد في النبات الطري والغض . والثانية: إرشادية وعظية للمؤمنين بالأبصار وأدراك الحقيقة الربانية تجاه مخلوقاته .

الخاتمة:

ختاما يمكن القول أن توظيف الأيقونة اللونية في نسيج الخطاب القرآني اتسمت بحمولات واشتغالات دلالية تعددت أبعادها ، وعبرت عن سلوكيات مستعملها وانعكاساتها النفسية عليهم ، وأسباب ورودها اجتماعيا لطبيعة الحياة وظروفها في ذلك العصر ؛ وهذه الدلالات جاء تنوعها بحسب سياقها النصي الذي انتظمت فيه ، منفتحة عن آفاق واسعة بسعة القرآن وبلاغته وقدرته

الإعجازية في فتح آفاق المتلقي ، وإيجاز صورة كاملة معبرة ووافية تعجز الألفاظ في تصويرها وعبرت عنها بدقة واضحة ؛ وقد خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية :

١- إن الأيقونة اللونية نافذة أو علامة لغوية أو بصرية تُدرك من المتلقي عبر شبكة من العلاقات ، وتعطي النص هويته الخاصة به وتمنحه دلالة تميزه عن غيره من النصوص عبر نسق لفظي أو صوري يعبر عن طبيعة الحياة والظروف البيئية التي يعيشها المتلقي .

٢- تعد الأيقونة نسقا قرآنيا قادرا على اكتناز معان وثقافات وأنساق مختلفة ، وقد تكون متضادة من لون إلى آخر ، وذات تأثير إيحائي بنوعيه الإيجابي والسلبي بحسب السياق الذي تنتظم فيه .

٣- إن الأيقونة اللونية بوصفها علامة تامة غير مرهونة بالمشابهة أو الاقتران فقط ، بل أنها ذات خصائص ودلالات رمزية تعبر عن طبيعة المتلقي ومجتمعهم ، وقد يكون الدال الأيقوني اللوني والدال البصري من مادة واحدة ؛ ولكن مدلولها يختلف باختلاف شكلها ؛ بسبب اختلاف إدراك المتلقي .

٤- وما تتسم به الأيقونة أنها ذات وظيفة اختلافية ؛ فهي لا تملك معنى ، وإنما تملك استعمالا ؛ والاستعمال هو صيغة أخرى للقول ، لأن المعنى موجود في الاستعمال وبدوره يُحيل إلى نسق ؛ والنسق كيان غير مرئي ولكنه البؤرة التي يتم بواسطتها التدليل والتواصل .

٥- وردت الأيقونة اللونية البيضاء في النسق القرآني اثنتي عشرة مرة في خمس عشرة آية موزعة على السور المكية والمدنية ، وحملت دلالات متعددة ومتنوعة تمثلت بالقدرة الإلهية ، ووصف شراب أهل الجنة وزوجاتهم ، ولتأييد الأنبياء في إثبات نبوتهم ، وانعكاسا للعمل الصالح على وجوه الصالحين من أهل الجنة ، وبيان دلالة زمنية مقرونة بفعل عبادي ، وجاءت ذات اثر جمالي ولوني ، فضلا عن تحول البياض إلى حالة مرضية للدلالة على عظم الفاجعة .

٦- اشغلت الأيقونة اللونية الخضراء على مساحة واسعة في الخطاب القرآني ، فقد جاء ترتيبه ثالثا من حيث حضوره واشتغالاته ، لما فيه من دلالة إيحائية تدل على النعيم لتوق القبائل البعيدة عن الحواضر المستقرة إلى المساحات الخضراء وافتقادهم إليها ، لأنها تمثل مصدر الحياة في توفير الغذاء وتوظيف اللون بهذه المساحة يتناسب مع ذائقتهم الباحثة عن الاستقرار اجتماعيا واقتصاديا ، كما وُظف للدلالة على المنزلة العالية والمكانة الرفيعة في المأكل والملبس والأثاث .

٧- جاء اللون الأسود على وفق الأيقونة اللونية بمرتبة ثالثة من حيث اشتغالاته في النسيج النص القرآني ، فقد ورد ذكره ست مرات في ثلاث آيات ؛ مقترنا باللون الأبيض ، وجاءت دلالاته مشحونة لبيان الإعجاز الإلهي في خلق الأشياء وتنوع ألوانها . على الرغم من كونها من سنخية واحدة ، بينما ورد توظيفه دلاليا لبيان الوجه وانعكاس الآثار النفسية عليه بسبب الأعراف القبلية وتعاطيه معه اجتماعيا ، أو بيان صورة الذنوب في الآخرة .

- ٨- منحت المدونة القرآنية الأيقونة اللونية الصفراء دلالات في نسق نسيجها النصي ، فقد ورد توظيف خمس مرات وبنفس العدد من الآيات ؛ وجاء توظيفه لبيان حالة الرفض والبخل وعدم الطاعة ، وكذلك العذاب مقرونا بالريح المُنذرة للعذاب بتحول دلالة الزرع إلى الخواء والاصفرار بعد اخضراره وفقدان المنفعة ، ولتوصيف نار جهنم وتطاير شررها بلون الإبل .
- ٩ - ورد اللون الأزرق في الأيقونة اللونية بوصفه نسقا قرآنيا مرة واحدة ؛ ويبدو أن قلة وروده في الخطاب لعدم تعاطي هذه القبائل مع هذا اللون اجتماعيا وبيئيا بسبب طبيعة الحياة القاسية في الصحراء التي غيبت بل كان مثار خوف وعدم ارتياح؛ لأن أبصارهم تقع عليه عند نفوق الحيوانات وازرقاق جدثها ، وقد وظف لتوصيف الكافرين .
- ١٠ - لم تشتغل الأيقونة اللونية الحمراء في الخطاب القرآني ، بذات اشتغالات الألوان الأخرى ؛ لعله يعود إلى ندرة استعماله اجتماعيا وبيئيا بسبب طبيعة الحياة القاسية في الصحراء التي غيبت اللون الأحمر في الزهور والنباتات ، وجاء مشحونا بدلالة إعجازية تبين القدرة الإلهية في الخلق وتنبه الغافلين عن ربوبيته .

الهوامش:

- ١- اللغة الثانية في إشكالية المنهج والتطبيق في الخطاب النقدي الحديث : فضل ثامر ، ٩٠ .
- ٢- . p 60 – 61 . Emile Benveniste , Gallimard , Problemesdelinguistique general
- ٣- . P . J . Fisks . British cultural studies and television . 115 .
- ٤ - العتبات النصية في القرآن الكريم : اسعد مكي داود الخفاجي ، ٤٨ .
- ٥ -العلامة البصرية والبنى الرامزة : د. عباس محمد رضا ٣٧-٣٨ .
- ٦ -اللسانيات والدلالة : منذر عياشي ، ٢٨١ .
- ٧ - ينظر : محاضرات السيمولوجيا : محمد السيرغيني ، ٤٣ .
- ٨ - عالم الرواية : رولان بورنوف ، وريال أونيليه ، ٩٢ .
- ٩ - حداثنة السرد والبناء في ذاكرة الماء لواسيني الأعرج : آمال سعودي ، ٥٥ .
- ١٠ - إيقاع الصور السردية : نادر احمد عبدالخالق ، ٢١٤ .
- ١١ - البقرة / ١٨٧ .
- ١٢ - الجامع لاحكام القرآن : محمد بن احمد ، تفسير سورة البقرة .
- ١٣ - المفردات في غريب القرآن ، ٢٠٥ .
- ١٤ -ال عمران / ١٠٦- ١٠٧ .
- ١٥ - انظر : دلالات اللون ورموزه في الشعر الجاهلي : سمران نديم متوج ، ١٨٥ - ١٩٠ .
- ١٦ -الأعراف / ١٠٨ .
- ١٧ - طه / ٢٢ .
- ١٨ - طه / ٢٢ .
- ١٩ - الشعراء / ٣٣ .
- ٢٠ - الإعجاز اللوني في القرآن الكريم : سردار محمد سعيد المعمار الأسدي ، ٩ .
- ٢١ - النمل / ١٢ .
- ٢٢ - القصص / ٣٢ .
- ٢٣ - يوسف / ٨٤ .
- ٢٤ - يوسف / ١٣ ، ٨٤ ، ٨٦ .

- ٢٥ - يوسف / ٨ ، ١٩ ، ٣٠ ، ٣٣ .
 ٢٦ - فاطر / ٢٧ .
 ٢٧ - الصافات / ٤٦ .
 ٢٨ - المفردات في غريب القرآن / ٧٧ .
 ٢٩ - الصافات / ٤٩ .
 ٣٠ - دلالات اللون في القرآن الكريم / ٤٤ .
 ٣١ - الانعام / ٩٩ .
 ٣٢ - يوسف / ٤٣ .
 ٣٣ - يوسف / ٤٤ .
 ٣٤ - الكهف / ٣١ .
 ٣٥ - المفردات في غريب القرآن / ٢٠٥ .
 ٣٦ - الانسان / ٢١ .
 ٣٧ - الحج / ٦٣ .
 ٣٨ - يس / ٨٠ .
 ٣٩ - البقرة / ١٨٧ .
 ٤٠ - الجامع لاحكام القرآن : القرطبي ، تفسير سورة البقرة ، آيه / ١٨٧ .
 ٤١ - ال عمران / ١٠٦ .
 ٤٢ - النحل / ٥٨ .
 ٤٣ - الزخرف / ١٧ .
 ٤٤ - الزمر / ٦٠ .
 ٤٥ - فاطر / ٢٧ .
 ٤٦ - المفردات في غريب القرآن / ٣٦١ .
 ٤٧ - مقال عن الألوان : صلاح الراشد ، ٦ .
 ٤٨ - البقرة / ٦٩ .
 ٤٩ - البقرة / ٧١ .
 ٥٠ - الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم : الشعلي ، ٦٩ .
 ٥١ - الروم / ٥١ .
 ٥٢ - الحديد / ٢٠ .
 ٥٣ - انظر : الكشف ، الزمخشري / ج ٦ / ١٩ .
 ٥٤ - المرسلات / ٣٣ .
 ٥٥ - المفردات في غريب القرآن / ٦٦ .
 ٥٦ - م . ن / ١٠٥ .
 ٥٧ - م . ن / ٢٨٦ .
 ٥٨ - م . ن / ٤٠٥ .
 ٥٩ - طه / ١٠٢ .
 ٦٠ - فاطر / ٢٧ .

المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم .
 ٢ - إيقاع الصورة السردية : نادر احمد عبدالخالق ، دار العلم للإيمان ، ط ١ ، ٢٠١٠ .
 ٣ - الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم : سليمان بن علي الشعلي ، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية ، المجلد ٤ ، العدد ٣ ، ٢٠٠٧ .
 ٤ - الجامع لاحكام القرآن : محمد بن احمد القرطبي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٥ .
 ٥ - الإعجاز اللوني في القرآن الكريم : سردار محمد سعيد المعمار الأسدي ، بحث مقدم إلى المؤتمر الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، ٢٠٠١ .
 ٦ - حادثة السرد والبناء في رواية ذاكرة الماء لواسيني الأعرج : أملا سعودي ، رسالة ماجستير ، جامعة محمد بوضياف ، مسيلة ، الجزائر ، ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨ .

- ٧ - عالم الرواية : رولان برونوف ، وريال أوئيبيه ، ترجمة نهاد التكرلي ، ومراجعة أ . فؤاد التكرلي ، محسن الموسوي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (سلسلة المائة كتاب الثانية) ، ط ١ ، ١٩٩١ .
- ٨ - العتبات في القرآن الكريم : اسعد مكي داؤد الخفاجي ، أطروحة دكتوراه ، إشراف د . هناء جواد عبدالسادة ، جامعة بابل .
- ٩ - العلامة البصرية والبنى الرمزية قراءت في شعر عبدالهادي الفرطوسي : د . عباس محمد رضا ، دار تموز للطباعة والنشر ، دمشق ، ط ١ ، ٢٠١٢ .
- ١٠ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم جارالله محمود بن عمر ، دار الفكر ، القاهرة ، (د . ت) .
- ١١ - اللسانيات والدلالة : منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري ، ط ١ ، ٢٠١٧ .
- ١٢ - اللغة الثانية في إشكالية المنهج والتطبيق في النقد الحديث : فضل ثامر ، بيروت ، لبنان ، الدار البيضاء ، ط ١ ، ١٩٩٤ .
- ١٣ - اللون ودلالته في القرآن الكريم : نجاح عبدالرحمن المرازقة ، إشراف د . حسن محمد الربابعة ، رسالة ماجستير ، جامعة مؤتة ، قسم اللغة العربية ، ٢٠١٠ .
- ١٤ - محاضرات السيمولوجيا : محمد السيرغني ، دار الثقافة ، سلسلة الدراسات النقدية ، (٦) ، الدار البيضاء ، ط ١ ، ١٩٨٧ .
- ١٥ - المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني ، ضبطه وراجعه محمد خليل عيتاني ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط ٦ ، ٢٠١٠ .
- ١٦ - مقال عن الألوان : صلاح الراشد ، مجلة فواصل ، ٢٠٠٥ .
- 17- Problemes de Linguistique generals : Gallimard , Emile Benveniste , 2 ,ed , 1974.
- 18- British cultural studies and television : J. Fisk ,